

The Speaker between the Eloquence and the Pathology of speech - a study in the book of Albayan w Altabyin of Al-Jahiz-

Dr .Hakkoum Meriem¹, Dr.Agha Aicha²

^{1,2} University Of Tahri Mohammed –Bechar- (Algeria)

Received: 02/2023, Published: 03/2023

Abstract:

This study aims to show Al-Jahiz's linguistic thought through the terms eloquence and speech pathologies that affect the speaker.

The speaker in the albayan w altabyin is the basis of the communicative process, and he must have the ability to explain, disclose and clarify in order to communicate his ideas and intentions to the recipients. Al-Jahiz presented examples of eloquent Arabs - throughout history - such as: Wasel Ibn Al-Ataa, our master Musa, peace be upon him.

Keywords: speech, speech pathology, eloquence, speaker, al-Jahiz.

The Authors Email: ¹hakemmeriem@yahoo.fr, ²Agha87@ymail.com

المتكلم بين البيان و أمراض الكلام - دراسة في كتاب البيان و التبيين للجاحظ

حكوم مريم¹، د. أغا عائشة²

^{2,1} جامعة طاهري محمد - بشار - (الجزائر)

المخلص :

تهدف هذه الدراسة لإظهار فكر الجاحظ اللغوي (اللساني) من خلال مصطلحي البيان و أمراض الكلام التي تصيب المتكلم .

فالمتكلم في البيان و التبيين هو قلب العملية الكلامية ، و يجب أن يتوفر على القدرة على البيان و الإفصاح و الإيضاح لإيصال أفكاره و مقاصده للمتلقين . و قد قدم الجاحظ نماذج عن فصحاء العرب - عبر التاريخ - مثل : واصل بن العطاء ، سيدنا موسى عليه السلام .

الكلمات المفتاحية : الكلام، أمراض الكلام، البيان، المتكلم، الجاحظ.

مقدمة :

قال تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان)¹ ، في هذه الآية الكريمة ربط الله عز و جل أنّ تمام

خلق الإنسان هو تعلم البيان و إظهاره عند الحديث ، و لا يتم ذلك إلا بتعلم القرآن الكريم .

اهتم علماء العربية بالبيان و ربطوه بالمروءة و كمال شخصية الإنسان . و قد أفردوا الكثير من المؤلفات التي تجمع و تضبط الكلام العربي بيانا و نحوا و قواعدا . و من هذه المؤلفات البيان و التبيين للجاحظ الذي حظي بمكانة عالية في عهده ، و بالدراسة و التحليل في العصور اللاحقة .

فالبيان و التبيين هو كتاب بدأه صاحبه بالاستعاذة من النفس و العجب بها و استحسان عملها ، كما استعاذ من العي الذي هو : " أفة تصيب النطق و هو العجز و التقصير عن المقدار المطلوب من الكلام"¹ ، و استعاذ أيضا من الحصر

¹ سورة الرحمن ، الآية :4.

بفتح الصاد الذي معناه " لم يقدر على الكلام " ² فهو ضرب من العي ، و ضيق و حبسة تصيب المتكلم في منطقه فينعدد لسانه، و ذلك أسوة بالأقدمين . لأنهما يفسدان لسان المتكلم إذ لا يمكنه الابانة عن المعاني ، و بهذا يفقد المتكلم هيئته ، و من أجل إظهار شخصية المتكلم و خصائصه عند الجاحظ اعتمدنا ترتيب الجاحظ لكتابه .
إنّ العملية الكلامية هي ما تميز البشر عن باقي المخلوقات ، و تتشارك فيها عناصر أساسية و هي المتكلم (المرسل) ، و المرسل إليه (مستقبل الكلام) ، و الرسالة (المتمثلة في بيان المتكلم) أي الكلام و يعدُّ أهم عنصر في العملية هو المتكلم .

الكلام : لغة : الكلام من الجذر (ك ل ل) و هي تدل على القوة يقول ابن جني في كتابه الخصائص: " أمّا (ك ل م) فهذه أيضا حالها ...معناها الدلالة على القوة و الشدة ... الأصل الأول (ك ل م) منه الكلم للجرح و ذلك للشدة التي فيه ، و قالوا في قوله تعالى : (دابة من الأرض تكلمهم) ³ " ⁴ ، و قال أيضا : " و قالوا الكلام : ما غلظ من الأرض و ذلك لشدته و قوته ، و منه الكلام ، و ذلك أنه سبب لكل شر و (و شدة) في أكثر الأمر ... " ⁵ ، فالقوة و الشدة هي دلالة لفظ الكلم .
اصطلاحاً : اتفق علماء اللغة على تعريف واحد للكلام و هو إنتاج المتكلم لأصوات لها هدف و معنى يصل للمتلقى ليفهمه و يجب عنه ، و سنعرض تاليا تعاريف لعلماء العربية .

الفيروز آبادي في قاموسه المحيط : " الكلام: القول، أو ما كان مكتفيا بنفسه وبالضم (كُ) الأرض الغليظة، والكلمة اللفظة والقصيدة، وتكلم تكلمًا وتكلمًا: تحدث" ⁶.

سيبويه في كتابه: " فالكلم اسم و فعل و حرف جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل " ⁷ ، و هو أنواع مستقيم و كذب و محال ، أو كما قسمه سيبويه ⁸ . و أجاز للشعر ما لايجوز لأنواع الكلم (الكلام) الأخرى ⁹ .
ابن هشام الأنصاري : في كل تعاريف ابن هشام للكلام يحافظ على جوهر معناه و القصد و الإفادة ، من ذلك : " اعلم أن اللفظ المفيد يسمى كلاما، وجملة ونعني بالمفيد ما يحسن السكوت عليه" ¹⁰ .
و في التعاريف السابقة اتفق العلماء على أن الإفادة و القصد هي أساس الكلم ، و هذا لا يتأتى إلا بالنظم أي ربط لفظ بلفظ مع مراعاة علاقة الكلمات بعضها ببعض في المعنى اللغوي.

¹ ابن منظور، لسان العرب ج12، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، مادة (ك ل م) ، ص522.

² المصدر نفسه ، ج 4 ، مادة (ح ص ر) ، ص 193.
سورة النمل ، الآية 82 . ³

ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، تح: عبد الحميد هندواي ، دار الكتب العلمية ، ص 68 . ⁴
المصدر نفسه ، ص 69 . ⁵

⁶ الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص: 1155

سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، تح : عبد السلام هارون ، ط3 (1408هـ / 1988م) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص 12 . ⁷
المصدر نفسه ، ص 25 و مايلها . ⁸

المصدر نفسه ص26 ⁹

¹⁰ جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق، 1368هـ - 1964م، ط1، ج2، ص: 419

و اتفقت التعريف السابقة للكلام مع وجهة نظر دي سوسير للكلام فهو: "الدال على الأفعال التي تسمح للأفراد في حفظها باستعمال اللسان لقول شيء معين"¹.

الكلام و المتكلم عند الجاحظ في البيان و التبيين :

قسّم الجاحظ كتابه قسامين يتحكم فيهما المتكلم : الأول هو البيان و الثاني هو التبيين . فالبيان هو : " اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، و هناك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته و يهجم على محصله كأننا ما ذلك البيان، و من أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع إنما هو الفهم و الإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضوع "²، و معنى هذا أن مصطلح البيان هو قدرة المتكلم على إيصال مبتغاه من الكلام إلى المخاطبين – المخاطبين- حتى يكون لكلامه معنى عند المتلقي ، لأن صعوبة الخطاب و التواصل في عدم قدرة المتكلمين على الإفصاح عن أفكارهم و أغراضهم ، ف قدرة المتكلم على اختيار الأدلة (الصور الصوتية) للإفصاح عن معانيه هي لب البيان. فالمعاني قائمة في أذهان الناس و للتعبير عنها بشكل مناسب يجب اختيار الألفاظ المناسبة ، و في هذا يقول الجاحظ: " المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، و المتخلجة في نفوسهم، و المتصلة بخواطرهم، و الحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، و بعيدة و حشية، و محجوبة مكنونة"³، أما المتكلم فهدفه الإخبار عن هذه المعاني بأن " يوحي تلك المعاني ذكرهم لها، و اخبارهم عنها و استعمالهم إياها و هذه الخصال هي التي تقربها من الفهم و تجلبها للعقل و تجعل الخفي منها ظاهراً، و الغائب شاهداً، و البعيد قريباً، و هي التي تلخص الملتبس و تحل العقد ... و المجهول معروفاً"⁴، و ذلك بأسلوب مقنع مع مراعاة كل ما يتطلبه التواصل مع الآخر من : الاهتمام بالرسالة ، و ما يساعد في إيصالها من علامات لغوية و غير لغوية - التي هي أساس كل حدث لغوي أو غير لغوي .

و الذي سبق يودينا إلى أنّ الجاحظ حصر أصناف الدلالات في خمسة أشياء و هي اللفظ و الإشارة ، و الخط و الحساب ، و النسبة حيث قال : " أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ؛ لأن المعاني مبسطة إلى غير غاية و ممتدة إلى غير نهاية، و أسماء المعاني مقصورة معدودة، و محصلة محدودة فجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص و لا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النسبة و النسبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف و لكل واحد من هذه الخمسة صورة باننة من صورة صاحببتها و حلية مخالفة لحلية أختها، و هي التي تكشف لك أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير..."⁵.

فالمتكلم و رسالته و كيفية إيصالها للمتلقي أساس البيان ، و قد تعوق البيان بعض المشكلات قد حصرها الجاحظ في : عيوب الكلام ، تنافر الألفاظ و الحروف ، أثر الأسنان ، اللكنة .

¹ كلود رياج بودرن، كاترين، ماري، أساسيات علم الكلام، ترجمة محي الدين حميدي، دار الشرق العربي، لبنان - بيروت، 1990، دط، ص: 13

² أبو عثمان الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق و شرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ج1، ص: 76

³ المصدر السابق، ص: 75

الجاحظ ، البيان و التبيين ، ص75.

المصدر نفسه، ص: 76

معوقات تصيب المتكلم : و هي عيوب الكلام ، و أثر الأسنان ، و اللكنة

1- **عيوب الكلام :** إن موسوعية الجاحظ في الأدب و اللغة كانت ماثلة في كتابه البيان و التبیین حيث أبرز جوهر الكلام العربي سواء أكان شعرا أم نثرا هو **الصوت** فقال : " الصوت هو آلة اللفظ و الجوهر الذي يقوم به التقطيع ، و به يوجد التأليف ، و لن تكون حركات اللسان لفظا و لا كلاما موزونا و لا منثورا إلا بظهور الصوت و لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع و التأليف " ¹. فالكلام الفصيح هو تآلف الأصوات في ألفاظه مع قدرة المتكلم في إظهاره من خلال حركات لسانه عند النطق. فالجاحظ في مقدمة البيان ركز على الاستعاذة من فتنه اللسان و عيبيه ، و مثل لذلك بشواهد كثيرة أهمها:

❖ قصة سيدنا موسى عليه السلام و فرعون :

قال تعالى : (**أَذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (24) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَأَخْلَلْ عُنُقَهُ مِّنْ لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28) وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هُرُونَ أَخِي (30) أَشْتَدُّ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (32) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (35)**) ². صدق الله العظيم .

فسؤال سيدنا موسى الله عز وجل أن يعينه في تبليغ الرسالة و ذلك بأن يزيل العجمة من لسانه -و هي عيب من عيوب الكلام " التي كانت فيه من جمرة النار التي أطفأها في فيه و هو طفل. قال ابن عباس: كانت في لسانه رتة...³ و مع اجتهاد فرعون لمعالجتها إلا أنها لم تبرا. " ولما دعاه قال إي رب تدعوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنها... ثم اختلف هل زالت تلك الرتة؛ فقيل: زالت بدليل قوله" قد أوتيت سؤلك يا موسى" [طه: 36] وقيل: لم تزل كلها؛ بدليل قوله حكاية عن فرعون: "ولا يكاد يبين" [الزخرف: 52]. ولأنه لم يقل: احلل كل لساني، فدل على أنه بقي في لسانه شيء من الاستمساك. وقيل: زالت بالكلية بدليل قوله "أوتيت سؤلك" [طه: 36] وإنما قال فرعون: "ولا يكاد يبين" [الزخرف: 52] لأنه عرف منه تلك العقدة في التربية، وما ثبت عنده أن الآفة زالت⁴.

جمع الجاحظ في وصفه لعيوب الكلام كل ما يعرض للمتكلم من عقبات التي تبعده عن البيان و تشوه كلامه، و هي مصطلحات نجدها في الدرس الحديث . فقسم عيوب المتكلم إلى عيوب متعلقة بـ:

✓ شخصية المتكلم : و هي صفات ملتصقة بشخصية المتكلم ك" المفحم عند الشعراء، والبكيء عند الخطباء خلاف المسهب الثرثار والخلل المكثار"⁵ ، و أضاف في قول آخر بعض الشخصيات مثل " أصحاب التشديق والتعقيد والتعقيب من الخطباء والبلغاء"⁶ . كما أنه زاد على هذه الشخصيات شخصية المتزيد في جهازة الصوت ¹ ، و هذه الشخصيات تشوه كلامها بهذه الصفات المنبوذة عند البلغاء و الفصحاء .

¹ الجاحظ ، البيان و التبیین ج1، ص 77.

سورة طه ، الآية 24 إلى 35. ²

³ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن (المبين لما تضمنه من السنة آي الفرقان)، ج14، تحقيق : عبد الله التركي وآخرون ، ط1 (1427هـ / 2006 م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ص51 .

المصدر السابق ، ج14، ص 53. ⁴

⁵ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص:12

⁶ المصدر نفسه ، ص 13.

✓ المتكلم في حد ذاته : و يقصد بذلك العيوب و الأمراض المتعلقة بلسانه فقال الجاحظ في هذا : "... وليس اللجلاج والتمتام، والألتغ والفأفاء، وذو الحُبسة والحُكلة والرُتّة..."² ، و في تفصيل ذلك جعل في كتابه -البيان و التبيين- باباً : ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة و ما يحضرنى منها ، فرصد أربعة أحرف : القاف و السين و اللام و الراء³ ، و باقي الأحرف التي تعرضها اللثغة لم يذكرها و ذلك إما أنه لا يمكن تصويرها خطأ ، أو أنها حرف من حروف لغات العجم⁴ .

- فاللثغة أو اللدغة هي : " إبدال موضع الصوت بموضع يقاربه مخرجاً، وفشل جهاز التصويت في تحقيق كفيته؛ فيستحيل عن موضعه لمقصد أصلي أو طارئ، كتوتر أو تمدد أو وجود خلل في أي جزء من أجزاء جهاز التصويت يتسبب في انسحاب الأصوات عن مواضعها"⁵ . و معنى هذا اللثغة هي عدم قدرة المتكلم لنطق الحرف من مخرجه فيبدله بصوت قريب منه في المخرج.

الحروف التي ذكرها الجاحظ هي : القاف و السين و الراء و اللام :

• اللثغة التي تقع في السين : أن تقلب سين ثاء و هي كقول الألتغ :بثم الله بدل بسم الله و هي أكثر ما يعرض للأطفال

• اللثغة التي تقع في القاف : هي تحويل القاف طاءاً مثل :قلت لك يقول طلت لك⁶

• اللثغة التي تقع في اللام : و هي إما أن تقلب اللام ياءاً فيقول المعتل في جمل ،جمي ، أو تقلب كافاً و مثل لذلك بشخص اسمه عمر.

• اللثغة التي تقع في الراء : تقلب الراء إلى أربعة أحرف و هي : الياء و الغين و الذال و الطاء. و هناك لثغة خامسة تقع في الراء و هي ما أصابت سليمان بن يزيد العدوي الشاعر و واصل بن عطاء⁷ ، هذه اللثغة ليست كغيرها إذ هي صعبة التصوير⁸ .

يعدّ واصل بن عطاء على الرغم من لثغته من الفصحاء و البلغاء ، فقد أسقط حرف الراء من كلامه و خطبه ، فقد روض نفسه بجهد و مشقة حتى أطاعه لسانه⁹ . مما أدهش علماء اللغة قديماً و حديثاً، و اعتبره الجاحظ في البيان " حدثاً فريداً في تاريخ البيان العربي"¹⁰ ، فقد استطاع تحويل عيب في النطق إلى قدرة فائقة في البيان و إخفاء هذا العيب .

¹ المصدر نفسه ، ص 13.

² المصدر نفسه ، ص 12.

³ ينظر الجاحظ ، البيان و التبيين ، ج 1 ، ص 15.

⁴ المصدر نفسه ، ص 15.

⁵ رضا، الشيخ محمد، الصوت وماهيته والفرق بين الضاد والطاء، دراسة وتحقيق: خليل إبراهيم المشابحي، 2002، ص 89.

⁶ الجاحظ، البيان و التبيين ، ج 1، ص 16.

⁷ المصدر نفسه ، ص 16.

⁸ واصل بن عطاء و آراؤه الكلامية ، سليمان الشوايشي ، سنة 1993، الدار العربية للكتاب ، ص 53.

⁹ المرجع نفسه ، ص 53.

¹⁰ المرجع نفسه ، ص 54.

بيان المتكلم :

سبق الحديث عن البيان في وجهة نظر الجاحظ حيث يرى أنه قدرة المتكلم في إيصال أغراضه من الرسالة و ذلك باستعمال الألفاظ المناسبة للمعاني ببلاغة كي "لا يُؤتى الناطق من سوء فهم السامع"¹ مع إمكانية الاستعانة بباقي أصناف الدلالات : كالإشارة ، و الخط ، و العقد ، و النصب ، و ذكر نماذج على كل دلالة .

فمدار البيان عند الجاحظ هو وصول الرسالة إلى المتلقي (السامع) بمعانيها و أهدافها التي أَرادها الناطق (الناطق) . و قد ساق الأمثلة الكثيرة عن بيان و بلاغة فصحاء العرب في باب ذكر ناس البلاغ و الخطباء و الأنبياء و الفقهاء و الأمراء ما كان لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ و الزلل² .

و على سبيل المثال لا الحصر : جعفر بن يحيى فقد " كان أنطق الناس " و في صفته " كان قد جمع بين الهدوء بين الهدوء و التهمل ، و الجزالة و الحلاوة ، و إفهامه يغنيه عن الإعادة "³ .

و عندما سئل جعفر عن البيان أجاب بقوله " أن يكون الاسم يحيط بمعناك و يجلي عن مغزاك و تخرجه عن الشركة و لا يستعين عليه بالفكرة ، و الذي لا بد له منه ، أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا الصنعة ، بريئا عن التعقد ، غنيا عن التأويل " ⁴ . فأجمل في قوله هذا وصفا لبيان المتكلم وهي :

- مناسبة الألفاظ للمعاني .
- تجلّي أغراض المتكلم و مغزاه من خلال الألفاظ .
- عدم التكلف و الصنعة في الكلام .
- أن يكون الكلام مفهوما واضحا غير معقد .
- لا يحيل السامع إلى تأويلات .

خاتمة :

يحظى كتاب البيان و التبيين و جهد الجاحظ بالكثير من الدراسة ، فقد قدم فيه الآراء اللغوية و الأدبية مع القصص التي ساقها للاستدلال عليها ، و كل ذلك لا يخرج من دائرة الكلام و المتكلم . فأظهر أهمية المتكلم و قدرته في إفهام الآخر من خلال سرد عيوب الكلام و الحديث البيان و غيرها من المواضيع ، سيكتشف الدراس للبيان و التبيين عبقرية و موسوعية الجاحظ .

المراجع و المصادر :

❖ القرآن الكريم.

✚ -جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق، 1368هـ -1964م، ط1.

✚ -ابن جني ، الخصائص ، تح: عبد الحميد هندراوي ، دار الكتب العلمية.

¹الجاحظ، البيان و التبيين ، ج 1، ص 35.

²الجاحظ، البيان و التبيين ، ج 1، ص 42.

³ المصدر نفسه ، ص 42.

⁴ المصدر نفسه ، ص 42

- ✚ -رضا، الشيخ محمد، الصوت وماهيته والفرق بين الضاد والطاء، دراسة وتحقيق: خليل إبراهيم المشايخي، 2002.
- ✚ -سليمان الشوايشي، واصل بن عطاء و آراؤه الكلامية، سنة 1993، الدار العربية للكتاب.
- ✚ -سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط3 (1408هـ/1988م)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ✚ -أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر.
- ✚ -الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.
- ✚ -القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (المبين لما تضمنه من السنة أي الفرقان)، تحقيق: عبد الله التركي وآخرون، ط1 (1427هـ / 2006 م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ✚ -كلود رياج بودرن، كاترين، مارييس، أساسيات علم الكلام، ترجمة محي الدين حميدي، دار الشرق العربي، لبنان بيروت، 1990، دط.
- ✚ -ابن منظور، لسان العرب الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.